

الإربعاء 08-07-2009

677 - إحياء المعنى في الكلام!!



الحلقة (11) الجزء الثالث من مقدمة الفصل الأول
إحياء المعنى يلا الكلام !!

اللفظ قام من رقده.
ربك كرم ينفع في ضورته ومحنته.
يرجع يغنى الطير على فروع الشجر.
ويقول "يارب"
وتجيله رد الدغوة من قلبه الرطب.

شرح على المتن:

في بداية شرح هذه المقدمة، (الجزء الأول) لـ **لعبة الكلام**: سبعين جنائزات بينما كيف يموت الكلام حين ينفصل عن معناه المفيد والدافع والمسؤول، لكننا أيضاً بينما أن تم هذا الانفصال

للشبـة مـعـيـنـة، فـإـنـه يـعـتـرـرـآلـيـة جـيـدة، تـسـمـح لـلـأـلـفـاظـ أـنـ تـشـابـكـ مـعـ بـعـضـهـا بـسـهـولةـ نـسـبـيـةـ لـتـكـوـنـ المـفـاهـيمـ وـالـجـمـلـ المـفـيـدـةـ.

أشـرـتـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ كـيـفـ أـنـ لـغـةـ الشـارـعـ، وـبـالـذـاتـ اللـغـةـ الشـابـابـيـةـ، وـأـضـيفـ هـنـاـ إـلـيـهـاـ اللـغـةـ المـسـماـةـ:ـ "ـالـبـيـئةـ"ـ هـيـ بـشـكـلـ ماـ -ـ تـجـدـيدـ لـلـغـةـ وـلـوـ بـدـاـ عـشـوـائـيـاـ، مـنـ حـيـثـ أـنـ ظـهـورـ هـذـهـ اللـغـةـ مـكـنـاـ هوـ نـوـعـ مـنـ الـاحـتـاجـاجـ عـلـىـ مـوـتـ اللـغـةـ دـاخـلـ الـأـلـفـاظـ الـمـغـرـبـيـةـ نـتـيـجـةـ لـلـقـهـرـ وـالـإـفـرـاغـ، ثـمـ أـخـتـ كـيـفـ أـنـ الـشـعـرـ هـوـ الـقـادـرـ عـلـىـ إـحـيـاءـ الـأـلـفـاظـ وـهـيـ رـمـيـمـ، بـإـعادـةـ تـشـكـيلـهـاـ نـغـمـاـ وـصـورـةـ.

حينـ يـقـولـ المـقـتـ هـنـاـ:ـ "ـالـلـفـظـ قـامـ مـنـ رـقـدـتـهـ"ـ، إـنـماـ يـذـكـرـنـاـ مـرـةـ أـخـرىـ بـأـنـهـ مـهـمـ مـاتـ الـأـلـفـاظـ اـغـزـابـاـ فـإـنـهـاـ هـيـ أـلـجـيـةـ الـقـيـ يـعـكـنـ أـنـ تـشـكـلـ هـبـاـ اللـغـةـ مـنـ جـدـيدـ:ـ شـعـراـ وـحـفـزاـ وـثـوـرـةـ، رـبـاـ التـعـبـيرـ أـدـقـ هـوـ "ـالـكـمـونـ"ـ اـنـتـظـارـ الـبـعـثـ مـاـ.

فـخـيـرـ الـعـلاـجـ جـمـعـيـ، حينـ أـوـاجـهـ بـعـضـ الـمـرـضـيـ لأـطـلـبـ مـنـهـ وـمـنـهـ، مـلـتـزـمـنـ بـقـاعـدـةـ:ـ "ـهـنـاـ وـالـآنـ"ـ، أـنـ يـنـطـقـ أـيـ مـنـ كـلـمـةـ وـاـحـدـةـ أـوـ اـثـنـيـنـ بـعـنـاهـاـ الـحـقـيقـيـ مـثـلـ "ـأـنـاـ أـقـدـرـ"ـ أـوـ "ـمـنـ حـقـيـ أـنـ..!.."ـ تـقـابـلـيـ مـقاـوـمـةـ غـرـبـيـةـ لـاـ تـوقـعـهـاـ وـلـاـ يـتـصـورـهـاـ أـحـدـ، مـعـ أـنـ الـكـلـمـاتـ تـكـوـنـ شـدـيـةـ الـتـدـاـولـ، شـدـيـةـ الـبـسـاطـةـ، فـنـسـتـنـتـجـ أـنـهـ يـبـدـوـ أـنـ التـركـيزـ فـيـ أـنـ يـحـضـرـ الـشـخـصـ (ـالـمـرـيـفـ)ـ فـيـ "ـهـنـاـ وـالـآنـ"ـ الـمـعـنـىـ الـذـيـ مـجـتـوـيـهـ الـتـعـبـيرـ الـمـطـلـوبـ، هـوـ السـبـبـ فـيـ هـذـهـ الـصـعـوبـةـ.

فـالـأـلـعـابـ الـنـفـسـيـةـ أـيـضاـ -ـالـقـيـ عـرـضـنـاـ مـنـهـ عـيـنـاتـ كـثـيرـةـ فـيـ هـذـهـ النـشـراتـ الـبـيـوـمـيـةـ، نـلـاحـظـ أـنـهـ بـمـجـرـدـ أـنـ تـضـيفـ صـفـةـ "ـجـقـيـقـيـ"ـ، أـوـ "ـجـقـ وـحـقـيقـ"ـ يـخـتـلـفـ الـأـمـرـ وـجـلـ نـبـضـ جـدـيدـ فـيـ الـجـملـةـ حـتـىـ تـكـتـمـلـ الـلـعـبـةـ كـاـشـفـةـ عـنـ الـمـضـمـونـ الـذـيـ تـضـمـنـهـ الـأـلـفـاظـ "ـجـقـ وـحـقـيقـ"ـ،

هلـ تـذـكـرـ مـثـلـ لـعـبـةـ "ـأـنـاـ باـخـافـ أـفـرـجـ مـعـ وـحـقـيقـ، لـخـنـ"ـ، بـلـ لـعـلـنـاـ لـاـ نـذـهـبـ بـعـيـدـاـ حـيـنـ تـذـكـرـ آخـرـ لـعـبـةـ الـقـيـ مـاـ زـلـنـاـ نـتـاقـشـهـاـ هـذـهـ الـأـيـامـ، وـنـهـاـ:ـ يـاـاـاـاـاـاـ، دـىـ طـلـعـتـ صـعبـةـ بـشـاـاـاـاـاـكـلـ، وـلـكـنـ...ـ، وـقـدـ أـوـضـحـنـاـ كـيـفـ أـنـهـ لـيـسـ مـنـ الـضـرـورـىـ أـنـ خـدـدـ مـاـ هـيـ الـقـيـ طـلـعـتـ صـعبـةـ، لـكـنـ، مـاـ إـنـ نـنـطـقـ لـفـظـ "ـدـىـ...ـ"ـ فـيـ هـذـاـ السـيـاقـ حـتـىـ تـدـبـ فـيـهـ الـحـيـاـةـ، فـيـجـرـجـرـ مـاـ تـيـسـرـ لـهـ أـنـ يـجـرـ مـنـ مـضـمـونـ حـتـىـ لـوـ نـتـعـرـفـ عـلـيـهـ قـدـيـداـ، وـهـكـذاـ.

فـمـوـقـفـ مـحـدـ أـذـكـرـهـ كـمـثـالـ، كـانـ شـدـيـدـ الـصـدـقـ وـالـعـنـفـ وـالـدـلـلـةـ، كـانـتـ إـحـدىـ الـمـدـيـقـاتـ الـمـرـيـفـاتـ تـسـتـنـقـدـ فـيـ مـأـزـقـ عـلـاجـيـ بـالـلـهـ، وـلـكـنـ تـصـبـحـ شـكـلـ رـوـتـيـقـ فـاتـرـ، قـائـلـةـ:ـ "ـيـارـبـ"ـ وـإـذـاـ بـمـسـاعـدـيـ يـنـبـهـهـاـ (ـوـهـوـ شـابـ يـجـاـولـ جـاهـدـاـ أـنـ يـعـيـشـ وـيـسـتـمـرـ مـنـقـطاـ بـالـمـعـنـىـ)ـ أـنـهـاـ لـاـ تـعـنـىـ مـاـ تـقـوـلـ، وـأـنـهـاـ لـوـ كـانـتـ تـعـنـىـ لـأـحـسـتـ بـذـبـذـاتـ الـلـفـظـ تـقـرـجـ مـنـ قـتـ إـظـفـرـ إـصـبـعـ قـدـمـهـاـ، لـاـ حـطـتـ كـيـفـ سـاعـدـ حـمـاسـ مـسـاعـدـيـ وـتـلـقـائـيـتـهـ فـيـ أـنـ يـسـتـعـيـدـ هـذـاـ الـلـفـظـ "ـيـارـبـ"ـ وـهـوـ الـذـيـ نـقـولـهـ فـيـ الـيـوـمـ عـشـرـاتـ الـمـرـاتـ دـوـنـ أـنـ يـنـبـضـ بـعـيـدـهـ، كـيـفـ يـسـتـعـيـدـ نـبـضـهـ حـيـنـ يـلـتـحـ بـالـجـسـدـ، فـيـنـبـضـ بـعـتـوـاـهـ الـصـعـبـ.

أعتقد أن مثل هذا الإحياء له مظاهر كثيرة في كثير من نشاطات الحياة التي تحاول في هذا الاتجاه، مثل الذكر عند بعض الصوفية بتزديد اسم معين، ومثل أداء بعض المغنيين لنفس اللفظ وهم ممثلون به ، في يصل إلى المتلقي بما يحمله ،

أم كلثوم ومايكل جاكسون:

لا أحسب أن عبقرية غناء أم كلثوم تكمن في حمال صوتها فحسب، بل هي - كما وصلتني بعد رحيلها بالذات - ترتبط بقدرتها الفائقة على أن تعطى لكل لفظ فرصة أن تنفس به حياة جديدة .

ثم أدركت مؤخرا سر شعبية الراحل مايكل جاكسون ، حين شاهدته بعد وفاته كما جاء في يومية السبت الماضي، جاكسون لم يتوقف عند ملء اللفظ بمعناه، بل تمادى إلى تحقيق عقريقة تمازج اللفظ مع النغم مع الحركة بجسده "يقول" ، فتكتمل الرسالة وتحرك ما يقابلها في المتلقي فيتضاعف الأداء ويخترق حركا الوعي الفردي والجمعي بما هو.

القرآن الكريم بدون تفسير

أحيانا يكون تفسير اللفظ الخام في سياق خاص مفسداً لعملية الإحياء والتحريك هذه ، حين أدركت ذلك ، حين كان بعض مرضى يلتجأون إلى ما يسمى "العلاج بالقرآن" مغتربين منشئين عادة ، إذ غالباً ما يقوى المعالج بالقرآن هو ، وليس المريض ، بقراءة بعض آيات القرآن الكريم معتقداً أن هذه الآية أو الآيات تعالج ذلك بالذات ، وهذا ، فكنت لا أشجب الفكرة تماماً ، بل أحدد شروطها الخاصة لاحتعمالها ، فاللفاظ القرآن الكريم وصفت بأنها يمكن أن يجعل الجبل خاشعاً من خشية الله ، فهي - غالباً حتى تؤدي هذا الدور - لا تحتاج تفسيراً بشرياً ، وصيّاً عليها ، بقدر ما تتطلب أن ترد في سياق ، وجرعة ، وحالة من التهيؤ تسمح بأن تحرك وعي المتلقي بما هي ، وليس بما تعنيه في المعاجم ، أو بما يقوله المفسرون عنها ، وبعد أن ذكر مريضي بآيات خشوع الجبل ، أوصييه إن أراد الاستعانة بالقرآن الكريم أن يقرأ بنفسه جزءاً محدداً (ربع حزب مثلاً ، كل ثانية يوم) بالترتيب دون انتقاء ودون فهم ودون تفسير ، وأنا لا أقصد بذلك مفعولاً سحرياً خاماً ، لكنني أحاول أن أحول ممارسته الاغترابية المفرطة المستسلمة التابعة عن طريق "وسيط" ، إلى فرصة احتفال تواصل مباشر بين نعمته الخاصة ، ونسمة "المابعد" ، (الغيب) من خلال هذا الوسيط القادر ، أعني اللفاظ المقدسة ، بفضل تبضها الملتحم بالوعي الكوني : "ربك كريم ينفح في صورته ومعنىـته" تتلامح أنغام مستويات مع بعضها بكل هذا الثراء النابض في سياقها الخاص ، دون لفظتها الاغترابية .

ربما هذا التوجه ، الذي لم أتبينه إلا مؤخراً ، كان وراء ما جاء باللت قد منذ أكثر من ثلاثين عاماً مشيراً إلى أن ما يحيى اللفاظ لتنبض بمعانيها من جديد هو تلك الصحوة /البعث ، التي تسمح بالتناغم بين الوعي الذاتي والوعي الكوني إلى وجه

المطلق توجهها إلى وجه الحق تعالى (وليسه من يشاء ما يشاء)، فتصبح الألفاظ التي كانت قد تحولت بالقهر والإهمال إلى "ظرف رصامي فاضي مصدى ف عليه" تصبيع ملتحمة بكل من معناها، في تشكيلاً لها الجديد "ربك كرم ينفح في صورته ومعنته".

التشكيل الأشـلـلـلـلـوـعـيـاـخـاصـوـالـعـامـ

التأكيد هنا على أن هذا الإحياء ليس عملية عقلية منفصلة بقدر ما هو أمل في تشكيل تناجمي بين الوعي الذاتي والوعي المطلق أو الوعي الكوني من خلال الألفاظ استعادت حيوتها، هو ما يلحق ذلك من إشارة إلى وسيط آخر، وهو التناجم مع الطبيعة "يرجع يغـيـ الطـيرـ عـلـىـ فـروعـ الشـجـرـ"، حين يتسرخ الاغتراب حتى تموت الألفاظ أو تكمـنـ هـامـدـةـ، ينـفـضـ إـلـىـ إـنـسـانـ عنـ الطـبـيـعـةـ، وـهـنـيـ يـعـزـزـ اللـحـنـ النـابـضـ منـ جـدـيدـ، يـعـودـ الإـدـرـاكـ إـلـىـ تـلـقـيـ الأـصـوـاتـ لـغـةـ قـادـرـةـ جـديـدـةـ.

قلنا من قبيل إن الكلام حين يموت، يصبح مجرد أصوات بلا معنى "مرـهـواـ صـفـرـ كـيـانـ النـعـشـ بـيـطـلـعـ كـلـامـ"، فيتم الاغتراب، وتتوقف حركية النمو، هنا انعكست الصورة فأصبحت الأصوات (أصوات الطير) غناء له معنى يروح يندمج في اللحن الأكبر فالأخير أيضاً، فيتم التواصل بين الوعي الذاتي، ووعي الطبيعة إلى الوعي الكوني، فهو اللحن البعض الجديد "ويقول يارب" ،

الرد يأتي من داخـلـنـاـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ عـمـقـ التـكـامـلـ مشـيرـاـ إـلـىـ بـؤـرـةـ الـوـجـودـ المـنـتـاجـمـ "وـقـيـلـهـ رـدـ الدـعـوـةـ مـنـ قـلـبـهـ الرـطـبـ"ـ أـىـ أـنـ الرـدـ يـأتـىـ مـاـ هـوـ أـقـرـبـ مـنـ حـبـ الـوـرـيدـ، مـنـدـاـ إـلـىـ كـرـسـيـهـ الـذـيـ وـسـعـ السـمـوـاتـ وـأـلـرـفـ سـوـاءـ بـسـوـاءـ، وـلـعـلـ هـذـاـ أـعـنـيـهـ عـادـةـ، يـتـنـاجـمـ الـوـعـيـ الذـاتـيـ مـعـ الـوـعـيـ الـكـوـنـ.

هـذـاـ تـعـودـ الـأـلـفـاظـ بـكـلـ عـنـفـوـانـهاـ وـقـدـرـتهاـ لـتـقـومـ بـدـورـهاـ فـيـ الثـوـرـةـ، وـالـتـغـيـرـ، لـتـنـطـلـقـ مـسـيـرـةـ النـمـوـ

بعـضـ آـلـيـاتـ إـحـيـاءـ الـأـلـفـاظـ فـيـ العـلـاجـ الجـمـعـيـ

في العـلـاجـ النـفـسـيـ الجـمـعـيـ، وـهـوـ مـوـضـوـعـ الفـصـلـ الثـانـ فيـ هـذـاـ الـعـلـمـ تـقـرـيـباـ، نـتـدـرـجـ فـيـ إـحـيـاءـ الـكـلـامـ بـشـكـلـ غـيرـ مـقـصـودـ مـبـاشـرـةـ، لـكـنـ هـذـاـ هـوـ مـاـ يـتـمـ مـنـ خـلـالـ آـلـيـاتـ مـحـدـدـةـ لـأـنـ مـقـصـدـ بـهـاـ فـكـرـةـ "إـحـيـاءـ الـأـلـفـاظـ"ـ خـدـيـداـ، وـإـنـماـ يـكـونـ ذـلـكـ بـعـضـ نـتـائـجـهـاـ الـهـامـةـ.

وـيـكـنـ عـرـضـ بـعـضـ هـذـهـ آـلـيـاتـ فـيـ خـطـوـطـهـاـ الـعـرـيـضـةـ عـلـىـ الـوـجـهـ التـالـيـ:

1. التركيز شـبـهـ المـلـطـقـ عـلـىـ أـنـ يـكـونـ التـفـاعـلـ فـيـ "هـذـاـ وـالـآنـ"ـ، وـهـوـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـسـتـبـعـهـ الـابـتـعـادـ عـنـ الـتـعـمـيمـ وـالـتـبـرـيرـ، وـالـإـقـلـالـ مـنـ الـتـفـسـيرـ وـالـتـأـوـيلـ، وـفـيـ هـذـاـ يـمـارـسـ الـمـعـالـجـ نـهـيـاـ مـتـصـادـاـ عـنـ اـسـتـعـمـالـ تـبـداـ بـالـفـاظـ مـثـلـ "الـوـاحـدـ"ـ .ـ.ـ.ـ.ـ، "الـنـاسـ"ـ .ـ.ـ.ـ.ـ، "الـإـنـسـانـ"ـ .ـ.ـ.ـ.ـ إـلـخـ

2. التنبية إلى أن النصائح المباشرة ، إلا ما يمكن تطبيقه واختباره في " هنا والآن" ، هي أيضاً مهرب من احتواء اللفظ لمعناه لصعوبة اختبار تنفيذه فاعليته حالاً .
3. تحديد أسلوب التخاطب بـ "أنا ...أنت" ، يتبعه تلقائياً تحمل مسؤولية الخطاب ، والتلقى، فلا تستعمل صفات أو ضمائر الجمع مثل "كلكم ، كلنا" ، وأيضاً لا يستعمل ضمير الغائب (هو ، هي ، هم) ما أمكن ، وقد لاحظنا كيف أن ذلك يستتبعه تضييق مساحة الفائز اللغطي بشكل يجيئ نبض الألفاظ .
4. الألعاب العلاجية تتطلب كلاً من التمثيل بكل معنى الكلمة ، كما تسمح بتأليف بقية النص المذوف .. (إبداعاً مباشراً) مع ممارسة مبدأ "أنا "أنت" هنا والآن" في نفس الوقت ، وبالتالي تتيح الفرصة لتكامل وسائل التعبير (الفقرة التالية بند 5)
5. استعمال وسائل أخرى للتواصل غير اللغطي (ليس فقط اللغة الإشارية ، التي هي نوع آخر من الرموز) بما في ذلك لغة الجسد ، ولغة العيون (أنظر الفصل الثاني) وتعبيرات الوجه ... إلخ ، سواء في الألعاب أو غير الألعاب وهذا لا يدل على الاستغناء عن الألفاظ بل قد يكتشف المريض من خلاله إلى أي مدى كان مبتعداً بألفاظه عن ذاته ، أو جسده ، أو بقية وجوده ، وقد يتم ذلك في نوع من النفسية: الصامتة ، أو الناطقة .
6. استعمال الاحتمال العكسي للألفاظ والجمل ، بتدريب وتمثيل أيضاً ، وهو وسيلة يتحدد بها كل من الأصل وعكسه ، مثلاً يقول المريض "أنا مش قادر أغير" ، فنطلب منه أن يقول (ويعتزل) "أنا قادر أغير" ، ثم بالتبادل ، فنحو بذلك دون تداخل الشكل مع الأرضية (بالتعبير الجشتالي) ، فيما يمارس المريض ، والمعالج ، نوعاً من التحديد الذي يسمح للغط أن يستعيد مضمونه الدال
7. الإقلال من استعمال ألفاظ التقريب ما أمكن ذلك (مثل "تقريباً" ، "نص نص" "مش قوى" ، "يعني ... إلخ")
8. الإقلال من استعمال تعبيرات التأجيل مثل "إن شاء الله" (بالمعنى الهروبي) ، "حاحاول" ، ... إلخ
- 9.تجنب استعمال الحكم والأمثال ما أمكن ذلك منعاً للاستدراج إلى التعميم والإفراط في التجريد
10. التعامل مع الأسئلة باعتبارها مشروع إجابات: يطلب أحياناً من المريض أن يقلب سؤاله إلى همزة إخبارية برفع علامة الاستفهام ، أو يطلب منه أن جيب هو أو لا على سؤاله إجابة محتملة ، أو أن يقول ما يتصور ان المستو (معالج أو زميل مريض) سوف جيبه به
- إمراضية الإفراط بفرط تحويل اللفظ معناه**
- "برغم الحرص الشديد على أن تحتوي اللفظ معناه ، فإننا أشرنا قبل حلقتين ، وفي مقدمة هذه الحلقة ، كيف أن ذلك هو

عبد شديد إذا ما بولغ فيه، وقد لاحظت في حالات الفصام، خاصة في نوع الفصام المبتدئ، وأيضاً في بعض حالات الاكتئاب أن المريض يشعر فجأة أنه ينبغي عليه أن يعيش كل لفظ ينطقه بحقه تماماً، أي أن يكون اللفظ هو معناه بالضبط وكما ينبع، فإذا تصورنا أن الجمل تتكون من وحدات متتالية مثل السلسلة المتراقبة، فإن الأسهل أن تكون حلقات السلسلة مرنّة وخفيفة حتى يتم الترابط والتسلسل بما يحقق معاكشتها فوظيفتها الأشمل فالأشمل، فإذا تصورنا أن المبالغة المرضية في أن تكون كل وحدة (حلقة) مليئة ثقيلة بما تحتويه من مضمون، فإن التسلسل قد ينقطع، وقد فسرت بذلك بعض ما ينتهي إليه المريض مما نسميه "فقد الترابط" *incoherence* صارت بلا معنى، ولكن نتيجة الألفاظ امتناعها مستقلة مثقلة حتى عجزت أن ترتبط مع ما قبلها وما بعدها.

الألفاظ الثورة:

حين تبعث الألفاظ من جديد، وتبنّف بضمونها، وتحفز إلى غايتها، تصبح ثورة في ذاتها، ولعل هذا بعض ما كان يعنيه أدونيس وهو يميز بين شعر الثورة (الشعر التحريري)، وبين الشعر الثورة، الذي هو تشكيل مغير يحيى اللغة، والمتالي (نهاية المقدمة) يشير إلى كل من هذا وذاك معاً:

الألفاظ بتهزّ الكون،
وبتضرب في الملبان،
وتتغير طعم الضحكة،
وتشعر المؤر ما الضلعة،
وبتفتح كدب الساكت،
وبتيفقش كل جبان.

استشهادان ختاميان

الألفاظ التي تحتوي معناها، فيكون لها كل هذا النبض، وكل هذا الإحياء، ليست هي الألفاظ الجميلة، أو الرنانة أو الجذلة، بل هي "أى لفظ كان"، حالة كونه ينبغي معناه سلساً مناسباً فيما يلى مقطفان يثبتان ذلك بشكل أو باخر:

الأول: من أصداء السيرة الذاتية لنجيب حفظ (1994)، وقيامي بنقدها (يجي الرخاوي سنة 2006)

والثانى: من قصيدة باكرة لي في ديوان "البيت الزجاجي والثعبان" (1983) استلهمنتها من السعي بين المقا والمروة، ذات عمرة. (قبل اصداء حفظه بعشرين سنة)

المقططف الأول:

الصدى رقم 78 من أصداء السيرة، (حفوظ سنة 1994)

78 - البلاغة

قال الأستاذ "البلاغة سحر" فاماً على قوله ورحنا نستيق في ضرب الأمثال. ثم سرح في الخيال إلى ماش بعيد يهيم في السذاجة. تذكرت كلمات بسيطة لا وزن لها في ذاتها مثل: أنت،.. فلم تفكـر

؟... طـبـبـ، يـالـكـ مـنـ مـاـكـرـ... وـلـكـ لـسـحـرـهـ الـغـافـفـ
جـنـ أـنـاسـ... وـمـثـلـ أـخـرـونـ بـسـعـادـةـ لـاـ توـصـفـ...
الـنـقـدـ: (يـحيـىـ الرـخـاوـيـ: أـصـدـاءـ الـأـصـدـاءـ)

عـلـىـ صـغـرـ هـذـهـ الفـقـرـةـ، فـيـانـهاـ تـطـرـحـنـاـ أـمـامـ قـضـيـةـ نـقـدـيـةـ
لـأـعـمـالـ مـحـفـوظـ، أـنـاـ لـسـتـ مـتـأـكـداـ مـنـ أـنـهـ نـالـتـ حقـهاـ مـنـ
الـدـرـاسـةـ، وـهـىـ قـضـيـةـ الـلـغـةـ، وـإـنـ كـنـتـ قـرـأـتـ أـكـثـرـ عنـ عـلـاقـةـ
يـحـىـ حـقـىـ بـالـلـغـةـ، مـبـدـعاـ، وـإـلـىـ درـجـةـ أـقـلـ نـاقـداـ، فـهـنـاـ
يـنـبـهـنـاـ مـحـفـوظـ إـلـىـ نـوـعـ مـنـ الـبـلـاغـةـ تـسـتأـهـلـ الـوقـوفـ عـنـهـاـ،
وـأـنـهـ لـيـسـ أـبـداـ، وـلـاـ أـصـلـاـ ذـلـكـ الـرـيقـ الـذـىـ يـنـبـعـثـ مـنـ ظـاهـرـ
الـأـفـاظـ أـوـ زـيـنـةـ الـأـسـلـوبـ، وـلـيـسـ هـىـ أـيـضاـ: الـحـكـمـ الـرـصـيـنـةـ
الـمـخـتـصـةـ الـتـىـ تـنـتـلـقـ مـنـ مـثـلـ أـوـ بـيـتـ شـعـرـ، بـلـ إـنـ الـحـدـيـثـ
بـالـأـمـثـالـ وـالـاستـشـهـادـ بـالـشـعـرـ قـدـ يـصـبـحـ ضـدـ الـبـلـاغـةـ بـالـمـعـنىـ الـذـىـ
تـتـنـاـولـهـ هـذـهـ الفـقـرـةـ، وـرـبـماـ بـالـمـعـنىـ الـذـىـ قـالـ فـيـهـ صـلـاحـ عـبـدـ
الـصـبـورـ "يـاتـىـ مـنـ بـعـدـ مـنـ لـيـتـحـدـثـ بـالـأـمـثـالـ"، أـمـاـ الـبـلـاغـةـ
الـتـىـ يـقـدـمـهـاـ لـنـاـ هـنـاـ مـحـفـوظـ فـهـىـ أـنـ جـمـلـ الـلـفـظـ - أـىـ لـفـظـ -
مـعـنـاهـ تـامـاـ، فـيـصـبـحـ سـحـرـاـ قـادـراـ أـنـ يـثـملـ بـهـ النـاسـ فـسـعـادـةـ
لـاـ توـصـفـ، وـأـنـ جـنـ فـصـنـهـ آخـرـونـ.

أـيـةـ الـأـفـاظـ هـذـهـ الـتـىـ تـسـكـرـ وـتـجـنـ؟ الـأـفـاظـ غـايـةـ فـيـ
الـسـدـاجـةـ، هـىـ فـيـ ذـاتـهـ كـأـصـوـاـتـ - أـبـعـدـ مـاـ تـكـوـنـ عـنـ الـبـلـاغـةـ
مـثـلـ "أـنـتـ" هـكـذاـ فـقـطـ : "أـنـتـ"ـ، أـوـ "فـيـمـ تـفـكـرـ"ـ؟ نـعـمـ "فـيـمـ
تـفـكـرـ"ـ أـوـ "طـبـبـ"ـ أـكـرـرـ : إـنـهـ لـفـظـ "طـبـبـ"ـ ثـمـ "يـالـكـ مـاـكـرـ"ـ،
.....، أـعـنـيـ "يـالـكـ مـاـكـرـ"ـ،

هـلـ أـدـعـوكـ - عـزـيـزـ الـقـارـيـءـ - أـنـ تـتـوـقـفـ عـنـ هـذـهـ الـأـلـفـاظـ
فـتـكـرـرـهـاـ أـنـتـ لـلـمـرـةـ الـثـالـثـةـ بـصـوـتـ مـرـتـفـعـ، ثـمـ تـرـكـ كـلـ لـفـظـ (أـوـ
تـعـبـيرـ)ـ مـنـهـاـ يـرـنـ فـيـ عـيـكـ شـخـصـيـاـ دـوـنـ مـحاـوـلـةـ أـنـ تـكـمـلـ، وـدـوـنـ مـحاـوـلـةـ
أـنـ تـتـذـكـرـ حـوـلـهـ أـوـ بـهـ أـوـ مـنـهـ شـيـئـاـ، إـذـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ "هـكـذاـ"ـ،
فـسـوـفـ تـعـرـفـ عـلـاقـةـ مـحـفـوظـ بـالـلـغـةـ، وـرـبـماـ تـمـسـاـخـ عـلـيـهـاـ، وـرـبـماـ.....

المـقـطـفـ الـثـانـيـ:

منـ قـصـيـدةـ "أـنـهـارـ المـسـعـيـ السـبـعـةـ"

ديـوانـ: الـبـيـتـ الـزـجاـجـيـ وـالـثـعـبـانـ (سـنـةـ 1983)

وـتـقـولـ النـاسـ الـأـهـارـ

لـلـنـاسـ التـيـارـ

.....

.....

قالـ النـهـرـ السـادـسـ:

لوـ أـنـ السـعـيـ تـنـاغـمـ بـعـدـ السـعـيـ إـلـىـ السـعـيـ

لـرـجـعـنـاـ أـطـهـرـ مـنـ طـفـلـ لـمـ يـولـذـ بـعـدـ

لـاـ نـتـكـاثـرـ بـالـعـدـةـ وـالـعـدـ

وـلـعـادـ الـمـعـنـىـ

يـمـلـأـ وـجـهـ الـكـلـمـةـ

يـهـتـزـ الـكـوـنـ:

لوـ يـعـنـيـ الـقـائـلـ "أـهـلـ"

أـنـ: "أـهـلـ"